

المجلد: 07 / العدد: 02 / ديسمبر (2023)، ص.ص. 54-67.

الاستحضار الساخر لخطابات سابقة
شعارات الحراك الشعبي الجزائري المكتوبة نموذجاً

The cynical evocation of previous speeches The slogans of the Algerian popular movement written as a model

د. فايد محمد

Faid.med20@yahoo.com

جامعة أحمد بن يحيى الوشريسي تيسمسيلت
(الجزائر)

تاريخ النشر: 2024/06/02

تاريخ القبول: 2024/05/26

تاريخ الاستلام: 2024/01/01

ملخص:

نحاول من خلال هذه الورقة البحثية الاقتراب إلى محمولات أكثر الأحداث تميزاً في تاريخ الجزائر المستقلة، نقصد هنا الحراك الشعبي الجزائري، الذي تم التواضع على أن اطلاقاته كانت بتاريخ 22 فيفري 2019، وإن كنا نعتقد أن إرهاباته سبقت ذلك التاريخ، هذا الحراك الذي يمكن عدّه نتيجة منطقية لاحتقانات سياسية واجتماعية واقتصادية كثيرة.

ووجب القول إن الخيط الناظم لهذه الورقة ليس النظر للحراك في بعده السياسي والاجتماعي والاقتصادي، لأننا وبحكم التخصص اخترنا الاشتغال على محمولة الشعارات المكتوبة التي رفعها المتظاهرون طيلة أكثر من سنة من التظاهر المستمر، تلك الشعارات التي تضمنت منذ بداية الحراك نفساً ساخراً، عبّر من خلاله الجزائري عن امتعاضه الشديد من خطاب السلطة طيلة عقود، من سياسات ميّعت كلّ شيء إلى الحد الذي أصبحت فيه كلّ ممارسات تلك السلطة عبثية، ولا أدلّ على ذلك من إصرارها على ترشيح رئيس مُقعد لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً. ولعلّ أبرز ما أثار انتباهنا طيلة أسابيع من المشاركة الفعلية في مظاهرات (الجمعة)، ومن المتابعة المستمرة لفعاليات الحراك ومحاضاته ومآلاته، هو ذلك الاستحضار الساخر لخطابات سابقة، حاورها الجزائري من خلال لافتات مكتوبة واستثمر مضامينها للتعبير عن الراهن بكلّ تلويناته، مع ضرورة الإشارة إلى استحالة الاشتغال على جميع شعارات الحراك الأمر الذي دفعنا إلى اختيار عيّنة تخدم مبتغى البحث.

الكلمات المفتاحية: السخرية، الخطاب الساخر، الشعارات، الحراك الشعبي.

Abstract:

Through this research document, we try to get closer to the charges of the most significant events in the history of independent Algeria. Here we hear the Algerian popular movement, humiliated by the fact that its launches took place on February 22, 2019, and if we think that its advances preceded this date, this movement can be counted as a Boolean result for many political contempt, social and economic.

It must be said that the common thread of this article does not look at the movement in its political, social and economic dimension, because we, by specialization, have chosen to work on the load of written slogans that the

demonstrators raised for more than fifty weeks of continuous demonstrations, these slogans which included since the beginning of the movement a sarcastic breath, through which he The Algerian expressed his deep indignation at the speech of the authority for decades, starting from policies which gathered everything to the point where all the practices of this authority have become absurd, and this is demonstrated by his insistence on appointing a president who will have no prejudice or any advantage for him.

Perhaps what most aroused our attention throughout the seven weeks of active participation in the protests (Friday), and the continuous monitoring of the movement's activities, its throat and its hopes, is this cynical evocation of previous speeches, that the Algerian questioned in writing and invested its content to express the present in all its colors, with the need to indicate the impossibility of Working on all the mobility slogans, which led us to choose a sample in the service of research.

Keywords: Irony, satire, slogans and popular mobility.

1- الخطاب الساخر.. مقرب مفاهيمي:

نستخدم عبارة الخطاب الساخر بدل الأدب الساخر، لأننا نعتقد أنّ الأولى أعمّ وتمكّننا من رصد تظاهرات السخرية في مختلف طرائق التعبير الإنساني، بينما عبارة الأدب الساخر تجعل مجال الاشتغال أضيق، إذ تدفع الدارس إلى العناية بالنتائج الأدبية دون غيرها، رغم أنّ النّفس الساخر يحضر في خطابات كثيرة وأحياناً بالآليات نفسها التي يُجنّبُ بها ذلك النّفس في الأدب الساخر، ذلك أنّ النّفس البشرية مجبولة على السخرية باختلاف الدوافع والمبتغى.

الخطاب الساخر نمط تعبيرى يخفي ألماً دفيناً، يتمّ اللجوء إليه لمعالجة الألم بالضدّ والتقيض¹، لأنه يروم غالباً عكس مقوله، أو يعبر عن مراده مباشرة، ولكن بسخرية الهدف منها معالجة المشكل والدعوة إلى تجنّبه، ورغم كثرة تعريفات مصطلح السخرية (Ironie- Irony) إلا أنّ أغلبها يؤكد على الطبيعة المواربة لخطابها، ففي المعجم (تحليل الخطاب) توصف السخرية بأنها خفية وهي وجه مجازي يحمل تفاوتاً بين المعنى الحرفي والمعنى المجازي²، والطرح نفسه يحده قارئ معجم (الأسلوبيات) لكاتي وايلز، و(المعجم المفصل في الأدب) لمحمد التونجي، و(المعجم الأدبي) لجبور عبد النور³، حيث أشار أصحابها إلى اعتماد أي خطاب ساخر المواربة وعدم التصريح بالمقصود، ويمكن أن يُعزى ذلك إلى أمرين، الأول أنّ السخرية في أغلب نماذجها توجه سهام النقد للسلطة ومؤسساتها، وعليه وجب اعتماد القول غير المباشر، وذلك لتجنّب متابعات تقودها تلك المؤسسات والأشخاص الذين ينتسبون إليها خاصة في المجتمعات الديكتاتورية، أما الأمر الثاني فهو الدعوة التي يوجهها الخطاب الساخر إلى المتلقي، الذي يتعيّن عليه أن لا يكون سلبيّاً، لأنه مطالب باستنباط المقصود والمشاركة في صناعة الخطاب.

يُوجّه مُنْجِب الخطاب الساخر رسائل تُخبر «عن أمور سلبية تأمر ضمناً بالتخلي عنها، تسخر من هذه الصفات وتواجه المخاطب بعبوه وتحاول التأثير فيه للانصراف عنها»⁴، وغالباً ما تكون تلك العيوب مرفوضة من قبل أغلب المنتسبين إلى ذلك المجتمع، أي أن تواضعاً مُجتمِعياً أفرز تصنيف تصرّفات ما تحت مسمى (العيوب)، وعليه وجب تجنّب إتيانها، وتمّ الدعوة إلى تجنّب تلك الممارسات بطريقة ساخرة تثير في المتلقي الضحك، غير أنه ضحك لا يراد منه التهرج الذي لا فائدة ترجى منه، بل هو على حدّ تعبير أحد الباحثين: «كوميديا سوداء تعكس أوجاع المواطن السياسية والاجتماعية»⁵، تُقدّم في معيّن ساخر يثير الابتسامة في الظاهر ويهدف إلى الإصلاح أساساً.

والخطاب الساخر ليس صنيعاً جديداً في الثقافة العربية فهو «أصيل متجذر في ثقافتنا، فقد عرفت الثقافة العربية النقائص، وقدم الجاحظ في (البخلاء) مجموعة من الصور الساخرة المضحكة التي ما زالت تثير الدهشة حتى اليوم، وكذلك فعل أبو حيان التوحيدي، وحازم القرطاجني وغيرها»⁶، وفعل غير أولئك حديثاً الكثير مثل أحمد مطر والكاريكاتوري ناجي العلي وعشرات الكتّاب والمبدعين، وفي الجزائر نستطيع ذكر بعض هؤلاء مثل أبي العيد دود والسعيد بن زرقة والسعيد بوطاجين وغيرهم، كلّ بطريقة مخصوصة، مع الإشارة إلى اهتمامنا في العينة التطبيقية بنماذج

غير أدبية، ذلك أننا اخترنا الاشتغال على الاستحضار الساخر لخطابات سابقة في شعارات حملها المتظاهرون طيلة أكثر من سنة من التظاهر السلمي فيما يعرف بالحراك الشعبي الجزائري.

يُصرّح الباحث المغربي "أحمد شايب" أنه: «من الصعب بمكان الحديث عن مفهوم واحد وموحد للسخرية، فالتاريخ الصحيح لهذا المفهوم هو تاريخ استعمالاته المتعددة وتداولاته على مرّ العصور، في سياقات ثقافية واجتماعية متباينة، وتاريخيّته، وانتقاله بين الأدب والفلسفة والفن جعلاه مفهوما غامضا وملتبسا، غير مستقر ومتعدد الدلالات والأشكال، يستعصي على التعريف والحصص»⁷، لأن ما يُعدّ من السخرية في مجتمع ما لا يعدّ كذلك في آخر، وحتى داخل المجتمع الواحد قد تتواضع فئات معينة على ساخرة سلوك ما، بينما تنظر إليه فئات أخرى من المجتمع نفسه على أنه ليس من السخرية في شيء، ومن أسباب صعوبة إيجاد تعريف موحد للسخرية التداخل الكبير بينها وبين مصطلحات ومفاهيم مجاورة، يقول أحد الباحثين: «إن أول ما يواجها في تحديد مفهوم الخطاب الساخر هو كثرة المصطلحات وتداخل المفاهيم، فالأكد أن هناك فروقا واضحة بين المصطلحات الموظفة في هذا المجال مثل: عمل هزلي (comique)، وهجائي (satirique)، فكاهي (Humoristique)، وغامض (Ambigue)، ومفارق (Paradoxal)، وساخر (Ironique)»⁸، ولابد من القول إنّ هذه المصطلحات وأخرى تتقاطع مع السخرية ولكنها كلها تستظلّ بانتسابها إلى حقل الضحك والمضحك، غير أن هذا المضحك «يحقّق إثارة الابتسامة عن طريق ملاسة الجروح، وبالتالي فهو يسعى إلى النقد والفضح والمساهمة في التغيير، بحيث لا يجعل معاناة الناس وسيلة للتسلية، بل لإثارة ابتسامات مفعمة بإدراك المعنى والمغزى واتخاذ المواقف»⁹، وهذا ما يصدق إلى حد بعيد على المفهوم الاصطلاحي للخطاب الساخر.

ينشأ في أذهاننا بعد الإشارات السابقة أن السخرية لا تأتي من فراغ، أو من رغبة في الترفيه، لأنها «ردّ فعل تجاه كلام أو عمل أو مظهر يبدو للمرسل خارجا عما هو متوقع أو لائق... ولهذا اعتُبر الضحك نوعا من التوبيخ الاجتماعي»¹⁰، والسياسي يهدف أساسا إلى تقويم اعوجاج ما، ويتم ذلك التقويم باستعمال مهارات مرسل الخطاب الذي يُعمل قدراته لمعالجة ذلك السلوك بنبرة ساخرة تُشكل الجِد، بل تستهدفه في صلبه.

والسخرية لدى (أحمد شايب) أنواع، من بينها السخرية اللفظية، وسخرية المواقف وسخرية القدر¹¹، تقوم السخرية اللفظية على قلب المعنى والكلمات والحروف، ويصنّف ضمنها أيضا قلب المواقف والأدوار، وتعدّ سخرية المواقف أكثر أنواع السخرية حضورا في النصوص الأدبية، بينما ترسم سخرية القدر، عبث الصدف والأيام بشخصيات ما، مع تأكيد فكرة أن السخرية ومن خلالها الخطاب الساخر «من وسائل انتقاد المجتمعات التي تزرع تحت وطأة ضروب الفساد، وصنوف القهر، والمتناقضات»¹²، ونعتقد أن السخرية يجب أن لا تُدرج ضمن آليات الخطاب الأدبي وحده، فهي بمثابة معطى ثقافي جامع يحضر في مختلف أساليب التعبير الإنساني.

يقودنا ذلك إلى تأكيد قناعة أن «الاحتفاء بالنص الضاحك والاشتغال النظري بأسئلته العvisية، واستفهاماته المتوترة، لا يستدعي الاكتفاء بمعاودة الإحاح على قيمة التعبير الهائى وأهمية النصوص الساخرة... يُفترّض الأمر كذلك تأسيس مهاد نظري مختلف، ونسق تأويلي مغاير، وتصور مرجعي ناظم، لا يجعل الضحك مجرّد أسلوب أدبي، أو تحقيق نصّي ضمن الآداب المكتوبة والشفهية، وليس مجرد استراحة طارئة أو فكاهة عابرة، أو ملحق ذليل من ملاحق التسلية والإمتاع الغرضي، بل يجب اعتبار الضحك من قبيل النص الثقافي الجامع»¹³، لأنه بحق كذلك، وربما هذا ما يبرر اختيارنا الاشتغال في هذه الورقة البحثية على الملح الساخر الذي تضمّنته بعض شعارات الحراك الشعبي الجزائري، فنحن نعتقد السخرية «فعالية تشييدية تُنشئ تصورا خاصا حول العالم والإنسان والتاريخ وتختلف تفاصيل الاجتماع البشري»¹⁴، أي أن الأمر لا يتعلق فقط بالنتائج الأدبية.

وقبل الانتقال إلى رصد الاستحضار الساخر لخطابات سابقة في عيّنات من شعارات الحراك الشعبي الجزائري وجب تخصيص محطة نشير فيها إلى المقصود بالحراك الشعبي الجزائري وإلى بدايته، وبعض التفاصيل ذات الصلة به، ناهيك عن الحديث عن ما يميّز من شعارات ساخرة رفعها المتظاهرون طيلة أكثر من سنة دون الادّعاء أن تلك الإشارات يمكن عدّها تأريخا للحراك، فتلك مهمة منوطة بعلما التاريخ والاجتماع والأنثروبولوجيا والسياسة، أما ورفقتنا هذه فمجرد محاولة للاقترب إلى صنيع بعض المشاركين في ذلك الحراك بالتركيز على عيّنة مختارة من الشعارات المكتوبة، مع ملاحظة أن البحث في هذا الباب يكرّم لما يتمّ الالتفات الأكاديمي إليه بعد.

2- الحراك الشعبي الجزائري.. في المفهوم والبدايات والملح الساخر:

نستطيع القول بداية إنَّ «الحراك الشعبي» مظهر من مظاهر الاحتجاج المدني المعاصر يتميز بالوعي واجتنب العنف المسلح كوسيلة للتغيير الجذري، تتفاوت صورته من مجتمع لآخر، إلا أن طبيعة الحراك واحدة، وهي تغيير النظام السائد وبناء دولة مدنية تستجيب لمعايير دولة الحق والمواطنة، وتصبو لتحقيق الحرية وحقوق الإنسان»¹⁵، وقد ظلت تسمية الحراك الشعبي في الجزائر الأكثر تداولاً رغم اصطلاح البعض عبارة (ثورة الابتسامة) إلا أن شيوعها ظل متواضعاً جداً، والسبب الرئيس في اعتقادنا الشخصي هو المآلات غير الجيدة التي انتهت إليها الاحتجاجات العربية العارمة التي اتخذت لفظ الثورة عنواناً لها في سياق ما يعرف بالربيع العربي باستثناء الحالة التونسية.

ولأن الحراك الشعبي الجزائري ظاهرة لا تزال قيد التشكل والتكون، حيث استمرت طيلة أكثر من سنة، ولم تُغلّق المظاهرات إلا بسبب نقشي الجائحة الصحية العالمية المتمثلة في وباء كورونا (كوفيد 19)، فإن البحث فيه، والكتابة حوله تظلّ محاولة محفوفة بمخاطر أبرزها صعوبة فهم ظروف التشكل، واستحالة استشراف مآلاته النهائية، ناهيك عن قلة المادة العلمية، فالحراك الشعبي «لم يُكتب عنه بشكل علمي وأكاديمي، بل جُلّ ما كتب عنه مقالات صحفية أو تقارير جيوسياسية»¹⁶، وأغلبها نُشر عبر الشائكة، بالإضافة إلى بعض المقالات القليلة جداً.

تؤكد المقالات التي استطلعنا الوصول إليها «شخّ المتن العلمي بشأن الحراك الاحتجاجي في سياقه الجزائري، رغم ما بات يُسجّل من حركية مشهودة وتنوّع في طوبوغرافية هذا الحراك، وهو ما استحقّ حمداً علمياً لتتبعه وصفاً وتصنيفاً وتفسيراً»¹⁷، وهذا أبرز ما نروم تحقيقه من خلال هذه الورقة البحثية بحيث سنحاول تصنيف بعض شعارات ذلك الحراك التي تضمّنت استحضاراً ساخراً لخطابات سابقة، ولعلّ اشتغالنا هذا سيكون أصعب في ظل انعدام دراسات سابقة تهتمّ بالجانب الجمالي للحراك وشعاراته، فالمادة التي حصلنا عليها ناقش أصحابها الحراك من منظورات سياسية واجتماعية واقتصادية، ولم تُضع اليد على أي بحث تدارس صاحبه الحراك الشعبي من منظور الدراسات الأدبية التي تبحث المعطى الجمالي فيه.

من الواضح أننا نقصد بالحراك الشعبي الجزائري سلسلة الاحتجاجات التي شهدتها مناطق الجزائر، وتُجمّع الآراء أن «السبب المباشر للحراك الشعبي العام يوم 22 فبراير 2019 يعود إلى لحظة إعلان ترشّح الرئيس عبد العزيز بوتفليقة لعهد رئاسية خامسة، بالرغم من حالته الصحية المزمنة والمتفاقمة منذ سنة 2013 حين أصيب بنكسة دماغية ألزمته الكرسي المتحرك»¹⁸، وكنا أشرنا في ملخص البحث أننا نعتقد أن احتقانات سياسية واقتصادية واجتماعية كثيرة أسهمت في اندلاع هذا الحراك الاحتجاجي، الذي لا يشبه عشرات الاحتجاجات الأخرى التي عرفتها الجزائر سابقاً، فهذا الحراك جاء «بخلفية العملية التمرّدية وتجاوز أو تسامى على المطالب الكلاسيكية لإشباع الحاجة المادية ليشمل مساءلة النظام السياسي»¹⁹، كاملاً بسبب خياراته العنيفة وتسييره الكارثي لمقدرات الدولة.

لقد جعل الحراك الشعبي المدن الجزائرية «فضاء للاحتجاج والتعبير عن الرضا الشعبي لأنظمة الحكم بصورة عامة»²⁰، ولئن كان إعلان ترشّح الرئيس السابق لعهد خامسة قطرة أفاضت كأس صبر الجزائريين، فإن الذي أوقد جذوة الوعي والاهتمام بالحياة السياسية في البلاد «أزمة مجتمعية عميقة تغذيها إخفاقات مشاريع التنمية وفشل السياسات»²¹، جميع السياسات وفي جميع الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والتربوية لتبلغ العتبة ذروتها عندما اجتمع كبار القوم احتفاءً بصورة رئيس اشتاق الشعب سماعه ورؤيته، ليتّم يومها تكريم الصورة بصورة، ولنا اعتبار ذلك صورة دالة على «استشراف الفساد المالي والإداري بكافة أنواعه وأشكاله، وهو العامل الأساسي في انشقاق الحراك الشعبي في الجزائر»²²، وهو الحراك الذي تطوّرت مطالبه من رفض ترشّح الرئيس السابق لعهد خامسة إلى الدعوة للتغيير الجذري للنظام خاصة عندما شاع تداول شعار (يتنحو قاع)، أي المطالبة برحيل جميع رموز نظام بوتفليقة وكلّ وصولي تربطه صلة بهم.

تميّز الحراك الشعبي الجزائري بمظاهرات تنطلق في جُلّ المدن الجزائرية عقب صلاة الجمعة من كل أسبوع ويشارك فيها جماعات من كل أطراف المجتمع، مع اختلاف في عدد المشاركين بين مدينة وأخرى وبين جمعة وأخرى، ثمّ أضيف إليها الخروج في حراك الثلاثاء، وهو حراك طلبة الجامعة مع ضرورة الإشارة إلى المساندة التي حظي بها هذا الحراك من فئات أخرى من المجتمع، واختارت فئات مهنية أخرى تنظيم وقفات في أيام أخرى، فكان أن خرج

المنتسبون لسلوك الحماسة بعض المرات أيام السبت، وقد لاحظنا ذبوع دعوات للتصعيد وإضافة أيام أخرى للاحتجاج عقب إجراء انتخابات 12 ديسمبر 2019م، وهو ما نجح فعلا في بعض المدن، وأهمها العاصمة الجزائر، ولكن مظاهرات الحراك عُلِّقت بداية من شهر مارس 2020 جزاءً، ظهور حالات إصابة بوباء كورونا (كوفيد 19).

لن نناقش من خلال هذه الورقة البحثية الحراك الشعبي الجزائري بالتركيز على التجاذبات السياسية التي تأسس عليها ودعى لها وأفرزها، فذلك منوط بأهل الاختصاص، غير أنه من الأخلاقي معارضة نتيجة أثبتتها باحثة جزائرية في مقال لها عنوانه (الحراك الشعبي في ظل إعلام النقرة)، حيث أشارت إلى أن الحراك الشعبي الجزائري أول حراك يحقق أهدافه «في أقل من شهرين، مُزجحا رئيسه دون شغب أو عنف»²³، لأن استقالة الرئيس السابق وما جاء بعدها من قرارات واعتقالات وأشياء أخرى كثيرة يُصنّف في اعتقادنا في خانة الصراع حول النفوذ، والسعي إلى إرضاء فئات من الحراك لا غير، ولا أدلّ على ذلك من استمرار المظاهرات لأكثر من سنة.

لاحظنا خلال مشاركتنا في بعض مظاهرات الحراك الشعبي، ومن خلال المتابعة الدائمة لمجرباته أن الشعارات المرفوعة من قبل المتظاهرين كانت «تتكيف مع الأحداث المتغيرة والسريعة في البلاد، أضفى عليها المحجون لمسة إبداعية وساخرة أحيانا من حيث الشكل والمضمون»²⁴، وهو الأمر الذي سجلته عديد القنوات الإعلامية العالمية وصفحات التواصل الاجتماعي، والذي دفعنا إلى اختيار الاشتغال على شعارات الحراك الشعبي الجزائري المكتوبة هو «ظهور ثقافة التعبير الحر من خلال التفنن في كتابة الشعارات [وهو] تفنن في السخرية والتنكيت»²⁵، وذلك عن طريق استحضار ساخر لخطابات سابقة سنشير إلى بعضها في المحطة التطبيقية من البحث.

وما لاحظناه أيضا أن الكثير من شعارات الحراك الشعبي الجزائري تضمنت المطالب نفسها «بالرغم من الاختلاف في طريقة التعبير عنها باختلاف السن والمستوى الثقافي والتعليمي وحتى باختلاف المناطق»²⁶، فرض العهدة الخامسة مثلا نتج عنه العديد من الشعارات التي استُحضر من خلالها خطابات سابقة كثيرة دينية واقتصادية ورياضياتية... تجتمع كلها في النبرة الساخرة التي صيغت بها.

ولأننا نعتقد أن الخطاب الساخر عموما «منذ تبلور منهجه كشكل فني وفكري متعارف عليه، كان يهدف إلى إصلاح المجتمع وتطويره، من خلال إثارة الضحككات والابتسامات على أقل تقدير، وذلك باستخدام أية أداة متاحة»²⁷، اخترنا أن تكون عينتنا التطبيقية الطريقة التي اختارها الشعب الجزائري للتعبير عن رفض ترشح بوتفليقة لعهد رئاسية خامسة ومن ثمة رفض رموز نظامه، دون إدعاء أن ما سنقوم به في المحطة الموالية عمل دقيق يصلح لإصدار حكم نهائي بخصوص شعارات الحراك الشعبي، فذلك هدف لا يستطيعه بحث واحد صيغ على مجل، فقصارى ما نرومه محاولة رصد وتصنيف عينات من تلك الشعارات المكتوبة على وجه الخصوص، وبالتركيز فقط على الاستحضار الساخر لخطابات سابقة حاول المتظاهرون استثمار محمولاتها للتعبير عن آرائهم.

3- شعارات الحراك الشعبي ونزعة الاستحضار الساخر لخطابات سابقة:

لقد أبانت احتجاجات الجزائريين «التي لم تشهدها مدن البلاد الجزائرية، عن عمق أزمة نظام طال أمدها، وكان ترشح الرئيس بوتفليقة لولاية خامسة بمنزلة الشرارة لاندلاع التظاهرات الشعبية المكثفة والمتصاعدة من يوم 22 فبراير 2019، وهو ما تسبّب في تعقيدات سياسية ودستورية غير معهودة في الجزائر»²⁸، هذه التعقيدات السياسية والدستورية وحتى الاقتصادية والاجتماعية عبّر عنها المتظاهرون عن طريق شعارات ساخرة أضفت على الحراك الشعبي طابعا احتفاليا يعبر عن الألم بابتسامة تترجم الشرح بين شعب متطلع إلى حياة أفضل ونظام يغالي في استغناء الرعية واستصغارها، إلى درجة يُقدّم فيها على ترشيح مُتعد بقي في السلطة لعشرين سنة كاملة.

لن نقول إن هذه الورقة البحثية تحاول «استشراف مآلات هذا الحراك الاحتجاجي في الأفق المرتقب»²⁹، ولكنها محاولة لرصد آمال الحراك في الأفق المرتقب من خلال البحث في شعارات رفعها المتظاهرون طيلة أكثر من سنة من الظاهر المستمر، والذي تختلف حدّة المشاركة فيه بين جمعة وأخرى، وبين ظرف وآخر، تضمنت تلك الشعارات خطابات ساخرة ترسم فجائية الوضع عن طريق الهزل، وقد لاحظنا أن تلك الشعارات تستحضر جملة من الخطابات السابقة، وهي خطابات دينية ومعلوماتية وتربوية واقتصادية مالية وقانونية وسينمائية واجتماعية.

يأتي اختيارنا للاشتغال على شعارات الحراك الشعبي الجزائري، إيمانا منا أن «فن السخرية ليس مرتبطا فقط بالتعبير بالكلمات، بل يمكن أن نجده في الرقص والموسيقى والفنون التشكيلية»³⁰، وعليه فإنه لا يحضر فقط في

المكتوب الإبداعي الصّرف، بل يمكن أن يحضر في كل ممارسة إنسانية وذلك للمرونة التي يتمتع بها الخطاب الساخر، ما يجعله قادراً على استخدام أشكال كثيرة يرتبئ من خلالها³¹ بوصفه «شورة منفعة ودائمة ضدّ القائم والسائد والقيم والتجارب والمؤسسات»³²، بغية كشف الكائن والدعوة إلى تقويم الاعوجاج.

شعارات الحراك الشعبي الجزائري كثيرة جداً ومتعددة ومتنوعة ومختلفة من حيث الحامل والموضوع والاستحضار، ولأنه يستحيل الاشتغال على جميع تلك الشعارات، فقد اخترنا (25) شعاراً، توزعت من حيث الموضوع أو الشخص أو الفئة المستهدفة إلى:

- رفض ترشح الرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة لعهدة رئاسية خامسة.
- رفض النظام برمته.
- رفض مخرجات نظام بوتفليقة (السياسية والاقتصادية على وجه التحديد).
- رفض شخصيات نظام بوتفليقة (غير بوتفليقة) مثل آخر رئيس وزراء في عهده وهو أحمد أويحيى (وهو رئيس حزب التجمع الوطني الديمقراطي).
- رفض مقترح الحفاظ على المخرج الدستوري عقب استقالة بوتفليقة.
- ومن حيث اللغة المستخدمة في كتابة الشعارات لاحظنا استخدام:
- العربية الفصحى.
- المتداول اللغوي الجزائري (الدارجة) وهو متداول يتضمن كناية لا بأس بها من الألفاظ العربية عكس ما يشاع أو يُعتقد.

- المزج بين العربية والدارجة والفرنسية والإنجليزية.

في حين توزعت تلك الشعارات من حيث الحامل، بين شعارات طبعت أو كتبت بخط اليد على ورق، وأخرى كتبت على لافتات من قماش، ويفيدنا ذلك في استنتاج تلقائية تلك الشعارات وعدم وقوف جهة معينة وراءها ما يدعم الطابع الاحتفالي والتلقائي الذي ميّز الحراك الشعبي الجزائري.

أما من حيث الاستحضار الساخر لخطابات سابقة، فنستطيع ترتيبها بالنظر إلى عدد الشعارات التي استحضرت كلّ خطاب، حيث تم استحضار خطابات دينية في سبعة شعارات، واستحضار الخطاب الرقمي المعلوماتي في ثلاثة شعارات، ثم يتدرّج العدد تنازلياً، والخطابات السابقة التي تم استحضارها بنبرة ساخرة في الشعارات عينة البحث هي:

- الخطاب الديني.
- الخطاب الرقمي المعلوماتي.
- الخطاب التربوي.
- الخطاب اللغوي.
- الخطاب المالي الاقتصادي الاستهلاكي.
- الخطاب الرياضي.
- الخطاب التاريخي.
- الخطاب الاجتماعي.
- الخطاب السياسي (القرارات السياسية).
- الخطاب القانوني الأمني.

- الخطاب الرياضي.
 - الخطاب السينائي.
 - الخطاب التلفزيوني.
- مع ضرورة الإشارة إلى أن هذه التصنيفات مجرد اجتهد شخصي يقبل النقد والنقض والتغيير، خاصة أن بعض الخطابات متداخلة، وبعض الشعارات تقبل التصنيف ضمن أكثر من خطاب.
- وقبل الخوض في رصد الاستحضار الساخر لخطابات سابقة في عينة من شعارات الحراك الشعبي وجب الإشارة إلى ما يلي:
- شعارات الحراك الشعبي الجزائري غير موثقة في سند أكاديمي علمي إلى غاية لحظة كتابة هذا البحث، وهي صورة غير احترافية، لجأها التقطها هواة من المشاركين في الحراك بهواتفهم الشخصية، وعليه فالصور التي تضمنت تلك الشعارات تتفاوت من حيث الجودة والدقة، ولا يوجد مصدر واحد معين استقيناه منه الصور، لأنها مبثوثة في عشرات المواقع الإلكترونية وشبكات التواصل الاجتماعي خاصة الفيسبوك.
 - سنركز في اشتغالنا على الشعارات المكتوبة على الأشخاص الذين يحملونها، مع تسجيل ملاحظة أن أغلب النماذج المختارة ارتسمت فيها الابتسامة على وجوه حاملي تلك الشعارات ما يؤشر على الوعي والقصدية.
 - تجنبنا إثقال المتن بالصور، واكتفينا بإيراد الشعارات كما هي، مع محاولة توضيح سياقات الكتابة والمحتوى والسند اللغوي.

- الاستحضار الساخر لخطابات دينية سابقة:

يندرج الخطاب الساخر ضمن فضاء ما يسمى بالأدب الضاحك وإن كنا نفضل استخدام عبارة الخطاب الضاحك، الذي لا وجود له «إلا داخل المسافة الناقدة للأنما والأخرين، وبالاستناد إلى مفارقة مستمرة للعقائد المؤممة... وهذه الدلالة لا يتنقّس الضحك هواء الأنظمة الكليانية، ولا يستقيم وجوده النصي- والثقافي في فضاءات الاستبداد والتفكير الواحد، الضحك سليل الديمقراطية وشقيق التعدّد والاختلاف، ودعامة الهامش والناقد المفوّض لكل أشكال السلطة، وكل تلاوين الثقافة الرسمية»³³ بكل خطاباتها.

تواجهنا شعارات الحراك الشعبي الجزائري بنقد مباشر للمؤسسة الدينية خاصة لحظة أبرقت مصالح النظام إلى أئمة المساجد تدعوهم إلى التذكير بخطر التظاهر، قبل تاريخ 22 فيفري 2019م، وتحثهم على تأكيد حرمة الخروج على ولي الأمر، هذا الطرح الذي رفضه الشارع وانتقده أئمة انتقاد، خاصة في ظل سكوت المؤسسة الدينية عن تجاوزات السلطة، لقد واجه الحراك الشعبي الجزائري خطاب السلطة والمؤسسة الدينية بخطاب ساخر يلخص الوضع ويحقق اتهام دوائر السلطة للمتظاهرين بالخروج على الحاكم، فكان أن تناقلت وسائل الإعلام عبر العالم صورة تتضمن الشعار الآتي:

لم نخرج عن الحاكم خرجنا.. للبحث عن حاكم

هذا الشعار الذي صيغ في شكل إجابة، كتب بخط اليد على قطعة من الورق المقوى، ورغم أنه خطّ بحبر أسود وعبر عن معنى لا يقل سوداوية عن الخبر إلا أنه اختتم بنقطة حمراء، في إشارة واضحة توقف اللفظ وتهدم الجدل الذي أثارته المؤسسة الدينية.

لقد استحضّر الحراك من خلال هذا الشعار خطابا سابقا يَنْظُم العلاقة بين الحاكم والمحكوم في الشريعة الإسلامية، ولكن الشعار عبّر عن ردة الحراك على ذلك الخطاب بسخرية قد تثير ابتسامه، ولكنها في المقابل تخفي ألما، فكأن الحراك هنا يسائل الخطاب الديني قائلا: أين هو الحاكم الذي تهموننا بالخروج عن سلطته، لأنه غير موجود أساسا، فالرئيس مقعد منذ سنوات، لقد خرجنا للبحث عن حاكم، ذلك هو ردّ الحراك، وتلك هي طريقته الساخرة في استحضار خطاب ديني سابق.

وفي شعار آخر يواصل الحراك الشعبي الجزائري الرد على المشككين المستمترين للبعد الديني في اتهام الحراك بإثارة الفتنة، تضمن هذا الشعار عبارة:

هَازِي مَايِي الْفِتْنَة
هَازِي الْفُطْنَة..

يتفاعل المتظاهرون من خلال هذا الشعار مع الذين استثمروا الخطاب الديني واتهموا كل من يخرج للمشاركة في الحراك بأنه يساهم في إثارة الفتنة، والفتنة وفق منطوق النصوص الدينية أشد من القتل، لقد ردّ الحراك بسخرية عندما أكد أن المظاهرات دليل فطنة وليس فتنة، خاصة وأن الحراك جمع فئات الشعب حول رفض فكرة ترشح بوتفليقة لولاية رئاسية خامسة.

ظل الخطاب الساهر «طيلة تاريخه الطويل، نصاً مضاداً للمؤسسة بكل تعبيراتها وتجلياتها، وتقيضاً ساخرًا للخطاب الرسمي المدعوم بالمؤسسة الطبقية والاجتماعية والدينية»³⁴، وعليه فإن تفاعل الحراك مع ما يحاك ضده، هو تفاعل مباشر مع الدوائر الداعمة للنظام، الأمر الذي دفع الجزائريين المشاركين في الحراك إلى رفض شيطنتهم، بل إنهم يتعوذون في شعار ساخر من النظام الرجيم، وذلك باستحضار الخطاب الديني واستعمال القلب اللغوي وهي إحدى آليات اشتغال الخطاب الساهر بحيث تضمن الشعار المقصود لفظة (النظام) ولكن باللغة الفرنسية فصيح وفق الآتي:

أعوذ بالله من
(SYSTEM)

السيستام الرجيم
(يتنحوا قاع)

إن الجزائري ومن خلال هذا الشعار يستحضر خطاباً دينياً وهو التعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ولكنه استبدل الشيطان الرجيم بالنظام (SYSTEM) الرجيم، فجعل النظام شيطاناً يترص بالوطن، لأجل ذلك وجب الاستعانة بالله منه.

وفي شعارين آخرين يحملان المعنى نفسه، يستحضر المتظاهرون خطاباً دينياً بنبرة ساخرة للتعبير عن رفضهم ترشح بوتفليقة لعهدة رئاسية خامسة، صيغ الأول وفق الآتي:

رَبِّي حَلِّلْ رُبْعَة
الْخَامْسَة خَرَامَ غَلِيكَ

وهذه صيغة الثاني:

رَبِّي وَحَلِّلْ 4
طَلْعْنَا آسِيدِي

حيث تم تشبيه العهدة الرئاسية السابقة بالزوجات، وبما أن الرئيس أمضى أربع عهديات فإنه يحرم عليه تزوج الخامسة، ما دفع بالحراكين إلى تذكير الرئيس بحزمة ما يصبو إليه شرعاً، هذا إذا سلمنا أن الرئيس هو الذي قرّر الترشح، لأنه أصلاً لم يظهر منذ مدة غير قصيرة إلى الدرجة التي جعلت الشعب يخاطبه بصريح العبارة:

لست الربّ لئومٌ بوجُودك دُونَ أَنْ تَرَكَ

مع الإشارة إلى أن بعض الشعارات تضمنت بالإضافة إلى العبارات المكتوبة رمز رفض العهدة الخامسة وهي عبارة عن دائرة تتضمن الرقم 5 وقد تم شطبها بخط مائل.

أما الشعار الأخير الذي نختم به حديثنا عن الاستحضار الساهر لخطابات دينية سابقة في شعارات الحراك الشعبي الجزائري، فهو شعار جامع يعتبر رجال بوتفليقة وكلّ الفاعلين في نظامه ما سبقه غير مرغوب فيهم، بل إنه يشبههم بالأرواح الشريرة ويدعوهم للرحيل.

ارحلي أنتها الأرواح الشريرة

تلك هي الآمال التي عبّر عنها الحراك، والقادم وحده سيخبرنا إن رحلت الأرواح الشريرة أم لا، الأمر الذي يبدو صعب المنال، بالنظر إلى طبيعة أنظمة الحكم في العالم العربي والدول المتخلفة عموماً.

- الاستحضار الساخر لخطابات رقمية معلوماتية:

نشتغل هنا على ثلاثة شعارات، الأول يستهدف الرئيس السابق، ويستهن ترشحه لعهدة رئاسية خامسة، وهو الذي أمضى عشرين سنة في الحكم، يُعبّر الشعار عن ذلك بطريقة ساخرة، حيث تم استحضار خطاب رقمي معلوماتي يشير إلى ظهور إصدارات كثيرة للهواتف الذكية واختفاؤها لصالح نماذج وإصدارات أخرى جديدة، بينما يستمر الرئيس الجزائري في نسخته الوحيدة مدة لا تقل عن عشرين سنة:

خُرج (بمعنى صَدَرَ)

Iphone 1, 2, 3G, 3GS, 4, 4S

5S, 5C, 6, 6 plus, 5

6s, 6s plus, Se, 7, 7 plus

8plus, X, Xs, Xr, Xs max, 8

وأنت مَرَّال مَا رُخَش

....

وفي الشعار الثاني يستحضر الحراك الشعبي الخطاب الرقمي للمعلوماتية من إصرار أطراف في النظام على البقاء في إطار الدستور وعدم الخروج عليه عقب استقالة بوتفليقة وتولي رئيس مجلس الأمة رئاسة الدولة، حيث استفاد كاتب الشعار من خاصية التعديل في برنامج word، للتعبير عن الدستور الجزائري الذي طالما تعاملت معه السلطة وفق احتياجاتها، حيث تم تعديله أكثر من مرة لتلبية رغبات النظام، في حين رمز للدستور الأمريكي ببرنامج (Pdf) غير القابل للتعديل:

الدستور الجزائري Word

الدستور الأمريكي (Pdf)

أما الشعار الثالث فأفرد لمهاجمة شخصية آخر رئيس وزراء في عهد بوتفليقة نقصد هنا أحمد أويحيى رئيس حزب التجمع الوطني الديمقراطي، الذي لا شعبية له في الأوساط العامة، حيث يُنعت في كل مرة بأنه (رجل المهات القدرة)، وقد لاحظنا أن الشعار الساخر تضمن اسمه مباشرة، رغم أن الخطاب الساخر في العادة: «يتأسس على عدم شفافية التواصل وعلى الالتباس والتعميم الدلالي المدرك والمكتشف من قبل المتلقي»³⁵، ولكننا هنا أمام تصريح مباشر لأن «التعفن عندما يصل إلى قمته فإن التورية والتلميح والغمز واللمز تصبح أسلحة غير فعالة بالمرّة»³⁶، حيث لا ينفع غير المواجهة المباشرة والجريئة، ولعل الجرأة الكامنة في هذا الشعار وشعارات أخرى كثيرة أدت بالمتابعين إلى توقع أن «لا يكون لرئيس الوزراء السابق مستقبل سياسي ما»³⁷، لأنه وبمجرد اشتداد الصراع بين أطراف النظام تم اعتقال أحمد أويحيى، وهو يواجه حالياً أحكاماً بأكثر من عشر سنوات من السجن، والحق إن الشعار الذي سنورده في الآتي يعبر عن استحالة تقلد الرجل مناصب سياسية فهو في نظر الحراكين لا يساوي قيمة شاحن للهاتف، وهذا ما تضمنه الشعار، حيث وجه حامله نداءً إلى رئيس كوريا الجنوبية، وهي مقر كبريات شركات الهاتف في العالم، راجياً منه استبدال أحمد أويحيى بشاحن شريطة أن يكون الشاحن غير مقلد، وهذا نص الشعار.

إلى رئيس كوريا

أدي أويحيى وعطيلنا

في بلاضشو

شازجور دورجين

بمعنى خذ أويحيى وامنحنا بدلاً عنه جهاز شحن للهواتف غير مُقلد.

- الاستحضار الساخر للخطاب التربوي:

تحدث هنا عن شعارين أحدهما يستهدف نظام بوتفليقة كاملاً، والآخر يسخر من مسألة الفراغ الدستوري، ففي الشعار الأول استحضرت الامتحان وهو ركيزة من ركائز الخطاب التربوي، حيث اعتُبر النظام ممتحناً، ومدة الامتحان (20 سنة)، وهي فترة حكم بوتفليقة، أما الأستاذ المصحح فهو الشعب الجزائري، والنتيجة مخزية.

مدة الامتحان: 20 سنة.

النتيجة: 20/00.

الأستاذ المصحح: الشعب الجزائري

ويستمر الحراك في السخرية من خلال استحضار عبارة تربوية فحواها أن الدستور ليس كراس محاولات، يمنح للتلميذ بغية إجراء تمارين تدريبية، فهذا دستور أمة لا مساحة للعب.

الدستور ليس كراس محاولات

- الاستحضار الساخر للخطاب اللغوي:

تم اعتماد آلية القلب في الاستحضار الساخر للخطاب اللغوي في شعارين ويمثل القلب اللغوي «في تقديم حرف على آخر في الكلمة الواحدة»³⁸، أو قلب الصياغة في الشعارين، وهنا تم قلب الكتابة في الأول، وتم استبدال كلمة بصورة شخص في الثاني، تضمن الشعار الأول عبارة: لا للعهد الخامسة، ولكنها مكتوبة بطريقة معكوسة من اليسار إلى اليمين، وأسفلها علق صاحب الشعار ساخراً (ربما يفهمون بالمقلوب).

لا للعهد الخامسة (كُتبت في الأصل من اليسار إلى اليمين)

بالاك يفهمو بالمقلوب!

للتعبير عند التذمر من تماطل النظام في فهم الرسالة الشعبية الواضحة، التي ترجمها صاحب الشعار الثاني بالقول إنه سئم النظام ورموزه، وقد قال ذلك بعبارة (كرهتكم أو سئمتكم أو سئمت منكم) ولكنه افترضها بالضمير (Je) ثم أتبعها بصور اللاعب البرازيلي (نيمار) وختمها بلفظة (منكم)، مع العلم أن صورة اللاعب (نيمار) بمثابة كتابة للفظـة (سئمت) بالفرنسية (J'enaimarre).

- الاستحضار الساخر للخطاب المالي الاقتصادي الاستهلاكي:

أدت معاناة الجزائريين إبان العقد الأخير من القرن الماضي بالإضافة إلى فشل حركات الربيع العربي في العشرية الماضية إلى اطمئنان دوائر النظام في الجزائر، حيث لم يتوقع ذلك النظام حراكاً شعبياً يهز أركانه ويزرع البلبلة في أوساط أجنحته، الأمر الذي نتج عنه «ظهور الصراعات إلى السطح، بين هذه الأجنحة، ما ثبتت تحولها من توافق إلى تضاد، بعد ظهور تهديدات بزوال المكاسب والمنافع التي كان كل جناح ينهل منها»³⁹، ما أدى إلى الإطاحة بعدد الشخصيات السياسية ورجال الأعمال جزاء تسريب معلومات عن فضائح مالية كبيرة، ولعل أبرزها قضية ضياع ألف (1000) مليار دولار من مداخل الجباية البترولية، هذه القضية التي تم استحضارها في شعارات الحراك بطريقة ساخرة:

ألف مليار نيزرو
كاز لآخ للكرة الأرضية
ونيقأ لنا الصُرف

أي أن مبلغاً رهيباً مثل ذلك يُمكننا من تبليط الكرة الأرضية كاملة، ويتبقى لدينا فكة، وعندما شرع النظام في استبدال بعض الوجوه بحثاً عن إسكات الحراك قال هذا الأخير كلمة ساخراً ومستحضراً خطاباً استهلاكياً:

لا لبوتفليقة

ومشتقاته

ولا يمكن اعتبار هذا الشعار شكلاً «من أشكال السخرية من السلطة والتندر بمثلها»⁴⁰، فقط ولكن باعتبار هذه الشعارات السياسية متاحة لفصح الوضع الراهن برمته مع إبراز الوعي الكامل بخبايا دوائر السلطة ومنوراتها.

- الاستحضار الساخر للخطاب الرياضي:

تضمنت شعارات الحراك الشعبي الجزائري عديد التنصّات مع خطابات رياضية كثيرة بتفنّس ساخر، ولكننا هنا نشير لخطابين استحضرها الحراك الشعبي، الأول يمكن وصفه بالحلّي، حيث استحضر المتظاهرون حادثة ساخرة للاعب الدولي السابق راج ماجر أيام كَلَفَ بتدريب المنتخب الوطني الجزائري، حيث واجهته صعوبات كثيرة. قال راج ماجر في لقاء مع التلفزيون الجزائري في باب التأكيد على قدرته في جلب اللاعب (براهيمي ياسين) بسهولة من ناديه (بورتو)، عن طريق تمثيل مكلمة مفترضة مع النادي على المباشر، الأمر الذي جرّ عليه سخرية كبيرة خاصة في ظل النتائج السلبية للمنتخب، وقد قال ماجر في تلك المكلمة المفترضة بعد أن رفع يده إلى وجهه على أساس أنها هاتف: (الوو... بورتو... أحناج براهمي... ليس لديكم مباراة أنا عندي مباراة مهمة... وسيسمعون له بالحضور) مع العلم أنّه قالها بالدارجة الجزائرية، واستحضر الحراك هذه الحادثة عن طريق شعار تضمن مكلمة مع مستشفى جنيف، حيث كان الرئيس السابق في رحلة علاج، لطلب استقدام الرئيس على اعتبار أن الجزائر على موعد مع انتخابات مهمة عكس سويسرا التي لم تبرمج أي انتخابات في تلك الفترة:

**ألو مستشفى جوناغ أعطونا الرئيس
حنّا عئذنا انتخابات مهمّة... ثثوما
مَعْنَدُ كُش انتخابات**

وجلي هنا أن «وظيفة مُتَقَبِّل الرسالة الساخرة، هي وظيفة جدّ هامة وخطيرة، ذلك أن المعنى الأصلي للنص الساحر هو ذلك المعنى العميق الذي لا يفهم إلا بتفاعل المتلقي الإيجابي مع النص، وما يُحَقُّ من ظروف وملاسات»⁴¹، والا فإنه لن يفهم المراد الفعلي.

أما الخطاب الرياضي الثاني الذي استحضرت شعارات الحراك فيمكن وصفه بأنه خطاب عالمي، حيث استخدم صاحب الشعار لفظة (كلاسيكو) التي تحيل مباشرة على مباريات برشلونة وريال مدريد:

**كلاسيكو الشعب
الحكومة Vs الشعب
رموتادا الشعب**

هذا الاستحضار جعل مباراة الكلاسيكو بين الحكومة والشعب آملاً أن تكون النهاية سعيدة لفريق الشعب، خاصة بعد عشرين سنة أو يزيد من الانكسار، ويدل على هذا المعطى استخدام عبارة (رموتادا الشعب) لفظة رموتادا إسبانية قديمة تدلّ على انتعاش الآمال بعد خيبات ما، أو على العودة من بعيد، وقد استخدمت سنة 2017 للدلال على عودة فريق برشلونة من بعيد بعد فوزه على فريق باريس سان جرمان بـ 6 أهداف مقابل هدف واحد في إياب دوري أبطال أوروبا، وهو الذي انهزم في مباراة الذهاب برعاية نظيفة.

- الاستحضار الساخر للخطاب التاريخي:

تضمّن شعار واحد استحضاراً ساخراً للخطاب التاريخي من بين الشعارات التي اخترنا الاشتغال عليها، وهو شعار استحضرت فيه كلمات منسوبة لقائد مسلم هو (طارق بن زياد) في معركة من معارك فتح الأندلس عندما أراد تحفيز جنوده وحثّهم على التصرّ، لأن عدم حدوثه يعني الهلاك، حيث قال: إن البحر خلفكم والعدوّ أمامكم، وقد استحضر الحراك هذا الخطاب، ولكن ليس للتحفيز ولكن لتأكيد هزيمة أعوان النظام فيما اعتقد الحراك أنه سيحققه:

**الاستقالة أمامكم
والشعب وراءكم**

- الاستحضار الساخر للخطاب الاجتماعي:

تؤدي الخطابات الساخرة وظائف اجتماعية «غاية في الأهمية تتمثل في مقاومتها للاكتئاب والقلق المجتمعي وخفض التوتر وتصحيح بعض الأوضاع الخاطئة، وتجاوز الإحباط، وبهذا يكون الخطاب الساخر أقوى مفعولاً من الخطاب الجاد في بعض الأحيان»⁴²، ويصدق هذا على جل شعارات الحراك الشعبي الجزائري، ومن ذلك شعار فخواه حديث شاب عن حبيبته التي تدعوه لخطبتها في ظروف يميزها قلقه على مستقبل البلاد.

أنا مقلق على البلاد
وهي تقول لي أرواخ
تخطب

- الاستحضار الساخر للخطاب السياسي (قرارات سياسية):

يصدق هذا العنوان على جميع شعارات الحراك الشعبي الجزائري، ولكن الشعار الذي اتخذناه نموذجاً دالاً على الاستحضار الساخر للقرارات السياسية يحمل نفساً ساخراً جداً، إذ يقابل بين تأميم المحروقات سنة 1971، ومساعي الشعب لتأميم المسروقات سنة 2019.

1971 تأميم المحروقات
2019 تأميم المسروقات

- الاستحضار الساخر للخطاب القانوني:

يرفع حامل الشعار الذي يستحضر الخطاب القانوني لافتة كتب عليها

يكفي سرقة أيها النظام
سنبلغ الشرطة

في إشارة ساخرة إلى ذبوع أخبار السرقات، التي تستدعي تحرك شرطة ألجمها النظام، وصاحب الشعار الساخر هنا يهدد النظام.

- الاستحضار الساخر للخطاب الرياضي:

يتضمن الشعار المستهدف عملية حسابية رافضة للعهد الخامسة للرئيس عبد العزيز بوتفليقة

$$4+1=0$$

حيث أصر الحراك على تلك النتيجة، وحققها ولكنه وجد نفسه أمام خيارات أخرى لم يشارك في صنعها عقب استقالة بوتفليقة.

- الاستحضار الساخر للخطاب السينمائي:

استحضر صاحب هذا الشعار خطاباً سينمائياً ساخراً ليعبر عن لحظات ساخرة من تاريخ الجزائر المستقلة

تضمن الشعار ما يلي:

الحلزونة يما الحلزونة
تجاه ري أخطونا

وتضمن الشعار أيضاً رمز رفض العهد الخامسة، ذلك المعبر عنه بالرقم (5)، وقد تم شطبه وسط دائرة، يستحضر هذا الشعار مشهداً كوميدياً من فيلم سينمائي عنوانه (مرجان أحمد مرجان) للممثل المصري عادل إمام، ويقتصر الاستحضار هنا على الاستفادة من الجرس والموسيقى لعبارة (الحلزونة يما الحلزونة) لتأكيد ما يتبعها (بجاه الله تركونا وشأننا) في دعوة مبطنة لرحيل رموز النظام.

- الاستحضار الساخر للخطاب التلفزيوني:

يتم الاستحضار هنا باستغلال آلية من آليات اشتغال الخطاب الساخر وهي المحاكاة الهزلية ويقصد بها «إنشاء نص على هامش آخر»⁴³، حيث تم استحضار شعار مسابقة تلفزيونية تبث عبر قناة (أم بي سي mbc) وينشطها الإعلامي مصطفى الآغا، وهي مسابقة (حلم)، وقد تم الاستحضار للإشارة إلى استحالة حصول بوتفليقة على عهدة خامسة:

إذا أردتم الخامسة أرسلوا كلمة حلم أو DREAM للشعب

خاتمة:

هذا البحث محاولة أولى وأولية للاهتمام بمخرجات الحراك الشعبي الجزائري، وتقصد هنا المخرجات الجمالية لا السياسية، لقد حاولنا من خلاله لفت انتباه جمهور القراء على اللوحات الساخرة التي صيغت بها شعارات الجزائريين، دون ادعاء التوفيق خاصة وأن النماذج المختارة جزء من كل، والمعنى لا يستقيم إلى دراسات أعم وأعمق.

صدرنا البحث بإشارات طفيفة ترسم في ذهن القارئ صورة عامة عن الخطاب الساخر الذي يصعب تعريفه تعريفا جامعا مانعا نظرا لتناساته الكثيرة مع مفاهيم أخرى يظلمها مقول الضحك والمضحك، وفي المحطة الثانية من البحث رصدنا بإيجاز بدايات الحراك الشعبي الجزائري غداة إعلان ترشح الرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة لولاية رئاسية خامسة معرجين على الملمح الساخر لشعارات الحراك والطابع الاحتفالي لمظاهراته.

ثم أفردنا نصف حجم البحث تقريبا للعينة التطبيقية حيث حاولنا رصد وتصنيف أنواع الخطابات التي تم استحضارها بسخرية للتعبير عن مطالب المتظاهرين وآمالهم، وهو رصد بسيط لا ندعي من خلاله تفكيك جميع رسائل تلك الشعارات لغويا وجماليًا وسياسيًا، وحسبنا أننا غامرنا بالبحث في موضوع بكر، نأمل أن يهتم به بالصورة التي يستحقها مستقبلا.

إحالات البحث:

¹ - ينظر: شمسي واقف زاده، الأدب الساخر وأنواعه وتطوره مدى العصور الماضية، مجلة فصلية دراسات الأدب المعاصر، جامعة آزاد الإسلامية، إيران، العدد 122، 2011، ص 101..

² - ينظر: مجموعة من المؤلفين، معجم تحليل الخطاب، إشراف: بريك شارودو ودومينيك مانغوي، ترجمة: عبد القادر المهري وحاجي صمود، دار سيناترات ونس، دط، 2008م، ص 321.

³ - ينظر: كافي وإلزار، معجم الأسلوبيات، ترجمة: خالد الأشهب، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط 1، 2014م، ص 396.

- محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1999م، ص 522.

- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط 2، 1984م، ص 138.

⁴ - فتحة بلبروك، خطاب السخرية ودلالاته في الشعر العربي المعاصر، رسالة دكتوراه (مخطوط)، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، الموسم الجامعي 2014-2015، ص ز (المقدمة).

⁵ - شمسي واقف زاده، الأدب الساخر أنواعه وتطوره مدى العصور الماضية، ص 102..

⁶ - حافظ أساعيلي علوي، لغة الخطاب الساخر مقارنة تداولية حجاجية، ضمن الكتاب الجماعي أبحاث في الفكاهة والسخرية، الورشة الأولى، منشورات فريق البحث الفكاهة والسخرية في الأدب والثقافة، جامعة ابن زهر- المغرب، دار أبي رقرق، الرباط، ط 1، 2008م، ص 55-56.

⁷ - أحمد شايب، مفهوم السخرية، ضمن الكتاب الجماعي أبحاث في الفكاهة والسخرية، الورشة السادسة، فريق البحث الفكاهة والسخرية في الأدب والثقافة، جامعة ابن زهر- المغرب، دار أبي رقرق، الرباط، ط 1، 2015م، ص 09.

⁸ - عبد الرحيم الخلافي، خطاب السخرية في الكتاب المدرسي، ضمن الكتاب الجماعي أبحاث في الفكاهة والسخرية، الورشة الرابعة، دار أبي رقرق، الرباط، ط 1، 2013م، ص 225.

⁹ - المرجع السابق، ص 226.

¹⁰ - المدني بورحيس، تجليات الضحك والسخرية في ظاهرة التكرار، ضمن الكتاب الجماعي أبحاث في الفكاهة والسخرية، الورشة الثالثة، فريق البحث الفكاهة والسخرية في الأدب والثقافة، جامعة ابن زهر- أكادير، المغرب، دار أبي رقرق، الرباط، ط 1، 2011م، ص 202.

- 11- ينظر: أحمد شايب، مفهوم السخرية، ص.ص. 13-15.
- 12- رابعة سوساني، وظائف الهزل في شعر محمد عبد الرحمن الدرجاوي، ضمن الكتاب الجماعي أبحاث في الفكاهة والسخرية، الورشة السادسة (مذكور)، ص. 51.
- 13- رشيد أوترحوت، محازل القداسة أنثروبولوجيا الضحك والمقدس في النص الثقافي الإسلامي، ضمن الكتاب الجماعي أبحاث في الفكاهة والسخرية، الورشة الثالثة (مذكور)، ص. 59-60.
- 14- المرجع السابق، ص. 60.
- 15- بوعرفة عبد القادر، الحراك الشعبي الجزائري الدوافع والعوائق، مجلة العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، الجزائر، العدد 07، 2019م، ص. 11.
- 16- بوعرفة عبد القادر، الحراك الشعبي الجزائري الدوافع والعوائق، ص. 15.
- 17- الطاهر مسعود وعبد الحليم محور باشة، المدينة الجزائرية والحراك الاحتجاجي مقارنة سوسيولوجية، مجلة عمران، مركز الدوحة لدراسات العليا والمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، المجلد 5، العدد 18، خريف 2016م، ص. 95.
- 18- بوعرفة عبد القادر، الحراك الشعبي الجزائري الدوافع والعوائق، ص. 14.
- 19- راجح سبع، افتتاحية مجلة العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، الجزائر، العدد 07، 2019م.
- 20- الطاهر مسعود وعبد الحليم محور باشة، المدينة الجزائرية والحراك الاحتجاجي مقارنة سوسيولوجية، ص. 94.
- 21- الطاهر مسعود وعبد الحليم محور باشة، المدينة الجزائرية والحراك الاحتجاجي مقارنة سوسيولوجية، ص. 94.
- 22- سايح فاطمية، دور الفساد المالي والإداري في انبثاق الحراك الشعبي في الجزائر، مجلة التكامل الاقتصادي، جامعة أدرار، الجزائر، المجلد 07، العدد 03، سبتمبر 2019م، ص. 32.
- 23- خيرة مكرتار، الحراك الشعبي في ظل إعلام النقرة، مجلة الدراسات الإعلامية، المركز الديمقراطي العربي، برلين، ألمانيا، العدد 07، ماي، 2019، ص. 138.
- 24- العربي حران وفائزة التونسي، سلوك المواطنة الفعالة من خلال الدلالة اللغوية لشعارات الحراك الاجتماعي في الجزائر، مجلة آفاق فكرية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، المجلد 05، العدد 11، ديسمبر 2019، ص. 30.
- 25- بوعرفة عبد القادر، الحراك الشعبي الجزائري الدوافع والعوائق، ص. 20.
- 26- يمينة مختار وعبو إسلام، حراك الجزائريين بين الواقع والمأمول، مجلة تحولات، جامعة ورقلة الجزائر، المجلد 02، العدد 02، أوت 2019م، ص. 24.
- 27- نبيل راغب، الأدب الساخر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 2000، ص. 10.
- 28- محمد السبيطي، حراك الجزائر، أزمة النظام بين الإصلاح أو القطيعة، منشورات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، د.ط، مارس 2019، ص. 06.
- 29- الطاهر مسعود وعبد الحليم محور باشة، المدينة الجزائرية والحراك الاحتجاجي مقارنة سوسيولوجية، ص. 93.
- 30- نبيل راغب، الأدب الساخر، ص. 19.
- 31- ينظر: المرجع نفسه، ص. 20.
- 32- رشيد أوترحوت، محازل القداسة أنثروبولوجيا الضحك والمقدس في النص الثقافي الإسلامي، ص. 61.
- 33- رشيد أوترحوت، محازل القداسة أنثروبولوجيا الضحك والمقدس في النص الثقافي الإسلامي، ص. 61.
- 34- رشيد أوترحوت، محازل القداسة أنثروبولوجيا الضحك والمقدس في النص الثقافي الإسلامي، ص. 61.
- 35- ينظر: أحمد شايب، مفهوم السخرية، ص.ص. 17.
- 36- نبيل راغب، الأدب الساخر، ص. 21.
- 37- محمد السبيطي، حراك الجزائر، أزمة النظام بين الإصلاح أو القطيعة، ص. 11.
- 38- عبد العالي الدكالي، في بنية النص الساخر مقارنة لنصوص المشاهير، ضمن الكتاب الجماعي أبحاث في الفكاهة والسخرية، الورشة الرابعة، ص. 188.
- 39- عبد المجيد رمضان، البولة القائمة والدولة العميقة وإشكالية التوافق والتضارب في المصالح، مجلة الناقد للدراسات السياسية، جامعة بسكرة، الجزائر، المجلد 04، العدد 01، 2020م، ص. 117.
- 40- محمد شقير، السخرية والسلطة النكتة السياسية نموذجاً، ضمن الكتاب الجماعي أبحاث في الفكاهة والسخرية، الورشة الرابعة (مذكور)، ص. 175.
- 41- علي البوجديدي، السخرية وقضايا المعنى في مثالب الوزيرين للتوحيدي بين المعنى الحي الذي يلوح والمعنى المستور بالتغريب، ضمن الكتاب الجماعي أبحاث في الفكاهة والسخرية، الورشة السادسة، ص. 325.
- 42- حافظ اساعيلي علوي، لغة الخطاب الساخر مقارنة تداولية حجاجية، ص. 57.
- 43- رابعة سوساني، الضحك في خطب وليمية شوسية، ضمن الكتاب الجماعي أبحاث في الفكاهة والسخرية، الورشة الرابعة، ص. 27.